

ازدواجية اللغة العربية بين العامية والفصحى

محمد هاشمي¹،

ضياء الرحمن مت سعد²

التحميل على الموقع	التدقيق في	التسليم في
10 th DECEMBER 2018	28 th NOVEMBER 2018	19 th SEPTEMBER 2018

الملخص

تهدف هذه الدراسة في التحقيق وراء قضية ازدواجية اللغة العربية بين شقيها الفصحى والعامية. الظاهرة التي بدأت تثير تساؤلاً محورياً حول ماهية هذه الازدواجية ومدى تأثيراتها على لغة المجتمع. لا سيما فيما يتصل بمصير اللغة العربية الفصحى. بلا شك، أن اللغة العربية الفصحى ليست بمجرد لغة من لغات بل هي عينها هوية ثقافية للمجتمع العربي وهوية دينية للمجتمع الإسلامي في شتى أصقاع الأرض من مشرقها إلى مغربها. هذه المرجعية العالمية باتت تحدد بتفشي العامية على لسان الناطقين بها، وبذلك تتلاشى الفصاحة فيهم وتنزع منهم نزعا دون أن يلقي أحد لها بالا ولا خطرا. تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك بتتبع المواد العلمية حول ماهية الازدواجية على صعيد لغوي أولاً، وبيان الإشكاليات التي تطرأ عليها على صعيد نظري، ثم تناول العوامل الرئيسة وراء ظهور الازدواجية. تستنتج هذه الدراسة أن ازدواجية اللغة العربية جاءت من محورين أساسيين؛ محور داخلي وهو غياب دور الأدب العربي من المجتمع وكذلك نشوب العامية في مجال التعليم. العنصران اللذان مهدا السبيل لاستعمار الفكري الثقافي من محور خارجي ليحد من دور اللغة العربية الفصحى في المجتمع العربي خاصة والمجتمع الإسلامي عامة.

الكلمات المفتاحية: الفصحى، العامية، اللغة، اللهجة، العربية.

¹ Muhammad bin Hashimee, Jabatan Bahasa dan Pembangunan Insan, Pusat Pengajian Teras, Kolej Universiti Islam Antarabangsa Selangor KUIS, muhammad@kuis.edu.my

² Diyakulrahman bin Mat Saad, Jabatan Bahasa dan Pembangunan Insan, Pusat Pengajian Teras, Kolej Universiti Islam Antarabangsa Selangor KUIS, diyakulrahman@kuis.edu.my

ABSTRACT

The aim of this study is to study the issue of the Diglossia in Arabic Language between Classical Arabic and Colloquial Arabic. The phenomenon that began to raise an important question about what is the impact of Diglossia on Arabic language. Especially in relation to the fate of the classical Arabic language in society. Undoubtedly, the classical Arabic language is not just a language but rather a cultural identity of Arab society and a religious identity of the Islamic community in all parts of the continents. This study is based on the analytical descriptive approach which depends on the reading material to explain the definition of Diglossia on the linguistic level first, then clarifies the problems that relates to it on the theoretical level, which contributes in addressing the main factors behind the emergence of Diglossia in society. This study concludes that Diglossia in the Arabic language comes from two main sources: internal source, mainly, the absence of the role of Arabic Literature from society, as well as the usage of Colloquial Arabic in education. The two factors that paved the way for cultural intellectual colonization that comes from external source to limit the role of classical Arabic in the Arab society.

Keywords: classical arabic, colloquial arabic, dialect, culture.

تعريف الازدواجية

لغة

لقد ذكرت كلمة ازدوج في معجم لسان العرب لابن منظور (1994): "أثما من مادة زوج والتي بمعنى خلاف الفرد. وكان الحسن يقول في قوله عز وجل (ومن كل شيء خلقنا زوجين) قال: "السماء زَوْج، والأرض زَوْج، والشتاء زوج، والصيف زوج، والليل زوج، والنهار زوج، ويجمع الزوج أزْوَاجاً وأزْوَاجٍ. وقد اَزْدَوَجَتِ الطير: اِفْتَعَالٌ منه³". أما في تاج العروس فيذكر أن "من المجاز تزواج الكلامان وازدواجا. وقالوا على سبيل المزوجة هو والازدواج بمعنى واحد. وازدوج الكلام وتزواج: أشبه بعضه بعضا في السجع أو الوزن، أو كأن لإحدى قضيتين تعلق بالأخرى"⁴

³ ابن منظور جمال الدين محمد بن بكر. 1994م. لسان العرب. بيروت: دار صادر. ط3. ج2. ص291.

⁴ سيد محمد المرتضى الحسيني الزبيدي. 1969م. تاج العروس من جواهر القاموس. الكويت: دار التراث العربي. ط2. ج6. ص20.

أما في المعاجم المعاصرة ازدوجَ يزدوج، ازدوجًا، فهو مُزدوج. ازدوج الشيء صار اثنين ازدوج لسانه: استعمل اللغة الفصحى واللغة الدارجة. ازدوج القوم: تزوج بعضهم من بعض. ازدوج التعبيران: (بلاغة) أشبه أحدهما الآخر في السجع أو الوزن.⁵

اصطلاحا

الازدواجية من حيث الاصطلاح يكاد يكون معناها مشابها بما هو مذكور في المعاجم المعاصرة، مع إحاطتها بمزيد التفاصيل حول الجانب النظري والاجتماعي لهذه الكلمة. كالذي أشار إليه الباحث عباس المصري في تعريفه لازدواجية اللغة "الازدواجية تعني وجود مستويين للغة الواحدة؛ أحدهما مستوى اللغة الفصحى الذي يُستخدم في المناسبات الرسمية والكتابة الأدبية والتعليم، والآخر مستوى اللغة العامية، أو اللهجات الدارجة، الذي يستعمل في الحياة اليومية"⁶

ولاحق به الآخرون في محاولة تفسيرهم ظاهرة الازدواجية في اللغة، فعرفها الباحث وليم مارسين على أن ازدواجية اللغة هي عبارة عن تنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة، أي بين الفصحى والعامية.⁷ وقام بذلك أيضا شارل فرغسون حيث إنه اعتبر الازدواجية في اللغة على أنها وصفا لغويا مستقرا نسبيا، يوجد فيه بالإضافة إلى اللهجات المستعملة في المحادثة العادية، نمط فوقي عالي التشفير، يستعمل في معظم الأغراض المكتوبة والأحاديث الرسمية.⁸ كما أتى أندريد مارتينه

⁵ عبد الغني أبو العزم. 2013م. المعجم الغني. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1. ص456.

⁶ عباس المصري، عماد أبو حسن. 2014م. الازدواجية اللغوية في اللغة العربية. المجلة اللغة العربية. فلسطين: كلية أكاديمية للتربية القاسمية. ص38.

⁷ محمد راجي الزغول. 1980م. ازدواجية اللغة. نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني الأردن: مجمع اللغة العربية الأردني. ص120-121.

⁸ عبد الرحمن محمد. 1997م. الازدواج اللغوي في اللغة العربية. الرياض: مطابع التقنية للأوسفت. ط1. ص104.

بنظرة مشابهة تجاه ازدواجية اللغة في قوله "موقف لغوي اجتماعي، تتنافس فيه لهجتان لكل منهما وضع اجتماعي وثقافي مختلف، فتكون الأولى شكل لغويًا مكتسبًا ومستخدمًا في الحياة اليومية".⁹

جميع هذه التعريفات تتفق في نقطة وتختلف في أخرى. أما نقطة الاتفاق فتكون في النظر إلى ازدواجية اللغة على أنها وجود صراع بين كيانين في اللغة يختلف كل منها في سماتها وخصائصها، ويتعدى هذا الاختلاف إلى جانب التطبيقي للغة من حيث الممارسة في المواقف والظروف المتفاوتة. أما نقطة الاختلاف، فتكمن في النظر إلى هذا الكيان المتصارع في كونه من صنف اللهجة أو اللغة، فنرى في تعريف عباس المصري ذكر الازدواجية على أنها لغة، الرأي الذي أشار إليه وليم مارسين في تعريفه لازدواجية اللغة حيث ذكرها على أنها تنافس بين لغة من لغات تصارع بعضها البعض.

إلا أننا نرى طابعا مختلفا في التعريفات الأخرى، منها ما أتى به شارل فرغسون حيث أورد في وصفه الازدواجية على أنها وجود نوعين من اللهجات المستعملة، منها ما يستخدم في المحادثات العادية وما هو مخصص لأنماط أخرى كالكتابة والمكالمات الرسمية. يكاد يكون التعريف الذي أتى به شارل فرغسون مشابها بما ذكره أندريد مارتينه لا سيما في اعتبار ازدواجية اللغة من قبيل احتكاك اللهجات لا اللغات، مما يثير تساؤلات أخرى حول ماهية اللهجة واللغة، والحد الفاصل لكل منهما، وهل يصح وصف الازدواجية في أنها ظاهرة لغوية أو أنها ظاهرة لهجية؟ الأمر الذي يجدر بيانه من خلال تغطية الفوارق بين اللغة واللهجة.

تعريف اللغة

لغة

من مادة (ل غ و) فيعني بها السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره دون فائدة ولا نفع، وذكر الأصمعي: " ذاك الشيء لك لغوٌ ولغوٌ ولغو، وهو الشيء الذي لا يعتد به". وقال الأزهري:

⁹ أندريد مارتينه. 1990م. الثنائية الألسنة والازدواجية الألسنة دعوة إلى رؤيا دينامية للوقائع. مجلة العرب والفكر العالمي. بيروت: مركز الإنماء القومي. ص24.

"وأصلها من لُغوة من لغا إذا تكلم واللغا ما لا يعتد بها في المعاملة".¹⁰ عرّف البستاني في كتابه (محيط المحيط) اللغة على أنها "ضم الكلام ما هو ساقط العبرة منه وهو الذي لا معنى له في حق ثبوت الحكم، واللغو من اليمين وهو أن يحلف على شيء وهو يرى أنه كذلك وليس كما في الواقع".¹¹ وقال الزمخشري حول اللغة "لغو: لغا فلان يلغو، وتكلم باللغو واللغا، واللغوت بكذا: لفظت به وتكلمت، وإذا أردت أن تسمع من الأعراب فاستغلهم: فاستنطقهم وسمعت لغواهم".¹²

أما اللغة من حيث الاصطلاح فقد ذكرت بحقها تعريفات كثيرة جدا دون توصل إلى اتفاق بين العلماء حول ماهية اللغة من حيث الاصطلاح، ولعلنا نذكر بأهم ما أتى به العلماء في محاولة تفسير معنى اللغة من جانب الإصطلاحي من أبرزها:

ما أتى به أبو الفتح عثمان ابن الجني في كتابه (الخصائص) حيث قال: "أما حدّها فإنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".¹³ وهذا التعريف قد تبناه كثير من العلماء اللسانيين المحدثين فقدّم ابن جني الصوت في اللغة بما فيه من دور ولا سيما فيما يتصل بالدلالات الصوتية التي تتميز من سائر تراكيب اللغة الأخرى. ولا نستغني عن ذكر ما أتى به الدكتور محمد مبارك في كتابه (فقه اللغة) "اللغة في شكلها الملفوظ والمكتوب أداة عجيبة تنتقل بها الأشياء التي تقع عليها حواسنا إلى أذهاننا... فاللغة هي الجسر الذي يصل بين الحياة والفكر"¹⁴ كما ذكر أنطوان مبيه في كتابه (لغات العالم) "إن كلمة لغة تعني كل جهاز كامل من وسائل التفاهم بالنطق المستعملة في مجموعة

¹⁰ ابن منظور. لسان العرب. ج 12. ص 299.

¹¹ بطرس البستاني. 1987م. محيط المحيط قاموس المطول للغة العربية. بيروت: مكتبة لبنان. د.ط. ص 820.

¹² أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري. 1998م. أساس البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية. ط 1. ج 2. ص 173.

¹³ سلطاني نعمان. 2006م. الكشف اللغوي عن التعدد اللهجي في القرآن الكريم. رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة الجزائر. ص 236.

¹⁴ محمد المبارك. 2009م. فقه اللغة دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية. دمشق: مطبعة جامعة دمشق. د.ط. ص 1.

يبعينا من بني الإنسان¹⁵ أما ابن خلدون فقد عرف اللغة بكونها هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل إنساني ناشئة في القصد لإفادة الكلام.¹⁶

تعريف اللهجة

لغة

اللهجة من مادة لهج، لهج بالأمر لهجا، وألهج كلاهما أي أوع به واعتاده، فاللهج بالشيء أي الولوع به. اللهجة واللهجة طرف اللسان واللهجة واللهجة جرس الكلام، والفتح أعلى. يقال فلان فصيح اللهجة أي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها.¹⁷

أما اللهجة من حيث الاصطلاح فقد اختلف العلماء في وضع تعريف مخصص لها لسعة معانيها وصعوبة تتبع مدلولاتها؛ كونها لا تتقيد بالقواعد المعروفة، بل جاء تطورها عفويا اعتباريا بمرور الزمان من خلال مبدأ التأثير والتأثير. من أهم ما جاء في تعريف اللهجة ما ذكره الباحث حسن ظاها في قوله: "إذا كانت مجموعة من اللهجات تنتمي إلى لغة ما وكانت هذه اللغة الأم ما زالت على قيد الحياة شائعة الاستعمال، فإن أية واحدة من فروعها غير جدية بأن تسمى لغة إلى أن تموت اللغة الأم بنفسها".¹⁸ كما حدد الآخرون مفهوم اللهجة على أنها مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئات خاصة ويشترك فيها أفراد البيئة.¹⁹

نستخلص من هذه التعاريف العامل الرئيسي في تحديد هوية اللغة واللهجة، وهو أن اللغة قائمة على تحقيق التواصل وإيصال الفكرة إلى أذهان المتلقين منطوقة كانت أم مكتوبة. أما اللهجة

¹⁵ حسن ظاها. 1990م. اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة. دمشق: دار القلم. ط. 2. ص 19.

¹⁶ عبد الرحمن بن خلدون. 1960م. المقدمة. بيروت: مكتبة لبنان. د. ط. ص 546.

¹⁷ ابن منظور. لسان العرب. ج 12، ص 340.

¹⁸ حسن ظاها. اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة. ص 122.

¹⁹ إبراهيم أنيس. 2001م. اللهجات العربية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. د. ط. ص 16.

فهي عبارة عن تشعبات للغة يتميز بها أقوام دون غيرهم وتتنوع بتنوع البيئات والثقافات، وتبقى اللهجة لهجة مع بقاء الصلة بينها وبين لغتها الأم.

أما فيما يتصل بقضية ازدواجية اللغة العربية حيث اعتبارها لغة أو لهجة، فلا بد من النظر إلى مكوناتها وهي الفصحى والعامية، أما الفصحى فلا مجال للشك فيه أنها لغة وليست لهجة كونها اللغة الرسمية في جميع الدول العربية دون استثناء، وإن وجد بعض جوانب التقصير تجاه ذلك، وبها كذلك نزل القرآن الكريم مرجعية المسلمين في جميع أقطاب العالم.

انتماء الفصحى إلى صنف اللغة قد لفت انتباه العلماء والباحثين، فرى الباحث علي عبد الواحد وافي في تعريفه اللغة الفصحى حيث قال: "يقصد بها لغة الكتابة أو لغة الآداب التي تدون بها المؤلفات والصحف والمجلات وشؤون القضاء، ويدون بها الإنتاج الفكري على وجه العموم ويؤلف بها الشعر والنثر الفني".²⁰ كما عرف الباحث خالد هاشم الفصحى على أنها التي تستخدم في تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري والعلمي وهي تخضع لقوانين تضبطها وتحكم عباراتها، وهي تتوخى الإيضاح والأصالة".²¹

هذه القوانين والأنظمة التي ألمح إليها الباحث خالد هاشم في تعريفه هي التي جعلت الفصحى مؤهلة بأن تندرج تحت صنف اللغة التي رسخت ركائزها وكملت بناؤها. الميزة التي جعلتها قادرة على تحصيل أرقى إنتاجات فكرية من الشعر والنثر. من سعة الفصحى أنها تضم ثروات هائلة من ذخائر الألفاظ والمفردات، فنجد ابن خالويه أنه أدرج لكلمة (السيف) خمسين اسما ولكلمة (الأسد) خمسمئة اسم ولكلمة (الحية) مئتي اسم،²² من خلال هذا البيان، فلا يعقل لأحد أن يعدّ الفصحى من قبيل اللهجات التي تفرعت من لغتها الأم وتزودت منها جملة وتفصيلا.

²⁰ علي عبد الوحيد وافي. 2004م. فقه اللغة. القاهرة: دار النهضة. ط9. ص119.

²¹ خالد هاشم. 2001م. القاف والكاف في عامية تلسمان. رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة تلسمان. ص37.

²² محمد عبد الشافي القوسي. 2016م. عبقرية اللغة العربية. الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو. د.ط.

أما العامية فقد اعتبرها البعض على أنها لهجة، لجهة أنها لا تملك نظاما مستقلا بذاته بل تستمد بناؤها من اللغة الفصحى مع وجود بعض التشابه بينها وبين اللغة الفصحى. يطلق على العامية بعض تسميات أخرى كاللهجة الدراجة و اللهجة المحكية والعربية العامية والكلام الدراج والكلام العامي ولغة الشعب وغيرها من مسميات أخرى. تكون العامية بهذه المواصفات عبارة عن اللغة الفصحى التي فقدت جزءا من خصائصها النحوية والصرفية بفعل التطور الصوتي والدلالي.²³

إلا أننا لو نظرنا إلى واقع الحال، لوجدنا أن العامية المعاصرة قد أحدثت شرخا واسعا في علاقتها مع اللغة الفصحى. وبدأت الصلة القائمة بينها وبين اللغة الفصحى تتبدد بفعل عامل الزمان، مع غلبة العامية على لسان الناطقين، وعزوف الكثيرين عن الاعتماد على اللغة الفصحى. المشهد الذي يفرض فرضية تمادي العامية نطاق اللهجة لتصبح لغة مستقلة عن اللغة الفصحى. لم يغفل العلماء والباحثون عن تناولهم هذه الفرضية، فترى من يقول بلغوية العامية منهم زبير خليل دندان في مقالته: "إلا أنه بالرغم من صمود تلك اللغة نفسها (اللغة الفصحى) في عصرنا بنظامها وقواعدها... فإننا لا نستعملها في المحادثات اليومية والشؤون العادية وذلك لأن اللهجات العامية حلت محلها وأصبحت الدراجة هي لغة التواصل العام بين أفراد الجماعات اللغوية المحلية ويصعب التواصل بين الجماعات المتباعدة للتباين السائد بينها".²⁴ ما يزيد الأمر سوء، أن العامية المعاصرة لا تتركز في المحادثات اليومية فحسب، بل تتعدى تأثيراتها لتشمل اللغات المكتوبة من الآداب والنثر، الواقع الذي شهد عليه الباحث محمد عبد الشافي القوصي "أما اليوم فقد صارت العامية لغة الحياة اليومية وما نلاحظه من انتشار الأدب الفكاهي والنكت والطرائف في مجتمعاتنا العربية".²⁵

<https://www.researchgate.net/publication/303314953>

²³ أحمد زغب. 2012م. لهجة وادي سوف دراسة لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث. الجزائر: مطبعة مزوار الوادي. ط1. ص19-20.

²⁴ زبير الخليل دندان. اكتساب اللغة العربية وتقلص الازدواجية. ص3.

²⁵ محمد عبد الشافي القوصي. عبقرية اللغة العربية. ص117.

هذه الثغرة الموجودة بين اللغة الفصحى والعامية ليست حديثة العهد، بل كانت قديمة بقدم اللغة وإن كانت لا تصل إلى المستوى الحرج الذي نعاني منه في عصرنا الحالي. لو تأملنا في عصور الماضية لوجدنا أن العرب لم يكونوا على لسان واحد، بل كل منهم نطق بلهجته ولسان قومه. هذا التنوع في اللهجات قد أحدث بعض الاختلافات في بنية اللغة وغالبا ما تصب هذه الاختلافات على صعيد الأصوات فحسب. نرى هذا الأمر في وصف ابن فارس لغة قريش في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) حيث قال: "كانت قريش مع فصاحتها، وحسن لغتها، ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع مما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائهم وسلاتقهم، التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب، ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عننة تميم، ولا عجرية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس، مثل: تعلمون بكسر التاء".²⁶

يرى الباحث أرجحية الرأي القائل بلغوية العامية أي أن العامية لغة من لغات وليست لهجة من اللهجات، وذلك لانقطاع الصلة القائمة بينها وبين اللغة الفصحى. يكون السبب وراء ذلك اتخاذ العرب العامية أداة التواصل السائدة في حياتهم اليومية، ما يؤدي إلى انحطاط دور اللغة الفصحى عندهم وعجزها في التعبير عن أغراضهم. المانع الذي يحول من تحقيق السبب الوحيد وراء تكوين اللغة في رأي ابن الجني حين عرّف اللغة من ناحية الاصطلاح. ناهيك عن الانحرافات في العامية الحديثة التي لا تقع على مستوى الأصوات فحسب، بل الشذوذ على مستويات اللغة برمّتها.

لخص إبراهيم أنيس في وصفه العلاقة بين العامية والفصحى حين يقول: "إن العلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة بين العام والخاص، فاللغة تشتمل على عدة لهجات لكل منها ما يميزها، وجميع اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية تؤلف لغة مستقلة عن غيرها

²⁶ عبده بدوي. 1996م. أهمية تعلم اللغة العربية. حوليات كلية الآداب. الكويت: مطبعة جامعة الكويت. ص 24.

من اللغات".²⁷ تقصد بالعادة الكلامية هنا ممارسة اللغة على لسان الناطقين، فغلبة العامية في كلام العرب ما يخرج العامية من حدود اللهجة إلى حدود اللغة.

بين ثنائية اللغة وازدواجية اللغة

ارتبك كثير من الباحثين حول مصطلحي ثنائية اللغة وازدواجية اللغة كونهما متقاربين في المعنى. التقارب الذي أدى إلى اختلاط كبير في فهم هذين المصطلحين، منهم من يرى أن مصطلح (الثنائية) تطلق على "تحدث جماعة من الناس، أو شعب من الشعوب، أكثر من لهجة كالعامية والفصح في آنٍ واحد، وهو حال أغلب الشعوب"²⁸. وصرح بهذا القول بأن طبيعة التحدث بالعامية والفصحى من قبيل الثنائية لا الازدواجية ما ينافي المنحى التي تتجه إليها هذه الدراسة.

هذه وجهة النظر تُبنى على الاستنتاجات أن التحدث بالفصحى والعامية أمر طبيعي لا مشكلة فيه. فهي حالة أصابت الكثير من لغات العالم دون استثناء. فهم يرون أن أنه ليس هناك ما يثير العجب في هذه الثنائية اللغوية بين الفصحى والعامية بالنسبة للعرب؛ حيث تصدر الصحف والمطبوعات، وتطبع الكتب من المحيط غرباً إلى الخليج شرقاً، بالعربية الفصحى. ويستطيع المغربي أن يُجاور الكويتي ويفهم حديثه بسهولة، وكذلك الحال بين السوداني والعراقي.²⁹

إلا الجانب الذي غفل عنه أصحاب هذا الرأي وجود الصراعات بين العامية والفصحى على أرض الواقع، ما يزيد بُعد المسافة بين العامية والفصحى. هذه الصراعات لم تكن راکدة يوماً من الأيام، بل تزداد حجماً مع مرور العصور، ولم تكن العامية التي تحدثت بها القدماء بنفس العامية التي

²⁷ فاطمة الزهراء حاج علي. 2014م. بين اللغة العربية ولهجات غرب تلمسان لهجة بن واسين أنموذجاً. رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة أبو بكر بلقايد. ص38.

²⁸ محمد عبد الشافي القُوصي. عبقرية اللغة العربية. ص40.

²⁹ المرجع السابق ص41.

تحدث بها مجتمعنا الحالي. ما يثبت ذلك كون العامية التي تحدثت بها أجدادنا لم تختلف كثيرا عن اللغة الفصحى، إلا في كيفية النطق وإصدار بعض الأصوات في غالب الأحيان. بينما العامية التي تحدثت بها مجتمعنا المعاصر جاءت مشوبة بانحرافات كثيرة على جميع مستويات اللغة، ناهيك عن مصطلحات الأجنبية الوافرة التي تسربت إلى ألسنة الناطقين. فلو وجدت هذه العامية في عصور أجدادنا لتبرؤا منها جملة وتفصيلا.

لقد أشار الباحث إبراهيم بن علي الديبان إلى وجود الصراع الكائن بين الفصحى والعامية حين يقول: "كما في عصر الحديث، حيث إن اللغة الفصحى مقصورة في جوانب معينة من استخدام اللغوي، بينما العامية لها ظهورها وحضورها في أماكن ومواقع حيوية؛ كانتشارها على ألسنة العامة، وفي الإعلام بمجالاته المختلفة، مما يدل على أن تمثل الفصحى يحدث صراعا واضحا مع العامية التي سيطرت على واقع المجتمعات المعاصرة".³⁰

بناء على هذا البيان، فإن طبيعة علاقة بين الفصحى والعامية هي من قبيل الازدواجية لا الثنائية الرأي الذي رجحه عباس المصري حين يقول في مقبل دراسته: "وعليه، فإن هذه الدراسة قدمت رؤيتها لمصطلح الازدواجية وما يميزه عن مصطلح الثنائية الذي بدا هو الآخر متداخلا معه ومشتبكا به، وإن كان كلاهما يمثل وجهين متبادلين لمشكلة الصراع اللغوي الذي بدا - بحسب هذه الدراسة ذا بعدين - : أحدهما داخلي، ويمثله صراع الفصحى مع العاميات المختلفة، والثاني خارجي

³⁰ إبراهيم بن علي الديبان. 2006م. الصراع اللغوي. مجلة المؤتمر علم اللغة الثالث: التعليم باللغات الأجنبية في العالم العربي. القاهرة: كلية دار العلوم. ص4.

وَمَثَلُهُ صِرَاعُ الفصحمة مع اللغات الأجنبية الوافدة، وقد أفضى الأول إلى ما راح يعرف بالازدواجية اللغوية، موضوع هذا البحث، فيما أفضى الثاني إلى ما يُعرف بالثنائية اللغوية".³¹

من خلال هذا المنطلق، فإن مصطلح الازدواجية تطلق على علاقة الفصحى بالعامية وهي محور هذه الدراسة، بينما يطلق مصطلح الثنائية على علاقة الفصحى مع سائر لغات أجنبية أخرى.

عوامل نشوء الازدواجية في اللغة العربية

الازدواجية لم تنشأ في اللغة العربية صدفة، بل ظهرت من خلال عوامل عدة تتحكم بها، وبقيت هذه العوامل محركاً لوتيرة الازدواجية حيث تهبط حيناً وتصعد حيناً، وذلك باعتماد على مدى توفر هذه العوامل في المجتمع ومدى دورها في تأثير على اللغة الفصحى عندهم.

1 غياب دور الأدب العربي

في ظل هيمنة عصر التكنولوجيا والعولمة الثقافية بات الأدب العربي يدفع إلى هوامش القضايا ليصير قضية جانبية لا يبالي بها أحد ولا يلتفت إليها إلا ثلة من الناس. بينما نرى إقبالا رائجا في المجالات العلمية كالفيزياء والكيمياء، حيث يتلهف إليها الطلبة والعلماء ليكونوا من الرواد والمبدعين في هذه العلوم. بلا شك، إن إغفال الجانب الأدبي قد أثر الكثير على اللغة العربية الفصحى وذلك لكون الأدب نواة مفعلة في تنميتها وتطويرها وتوسيع آفاقها ودورها في المجتمع. على هذا الأساس، نرى أن القبائل العربية قديماً قد جعلوا الأدب العربي محورا هاما في حضارتهم الثقافية. كانوا من شدة حرصهم على الأدب العربي أنهم اتخذوا للشعر أسواقا، وهي عبارة عن منصات اعتلاها أحسن شعراء قوم

³¹ عباس المصري، عماد أبو حسن. 2014م. الازدواجية اللغوية في اللغة العربية. المجلة اللغة العربية. فلسطين: كلية أكاديمية للتربية القاسمية. ص37.

ليلقوا جماليات أشعارهم على الملا، وبيارون بعضهم بعضاً أيهم أليق للحصول على لقب "سيد الشعراء". اللقب الذي يعد مفخرة يسعى إليها البدو والحضر عوامهم وخواصهم. لم يقتصر الاهتمام بالأدب العربي والتراث الثقافي العربي في العصر الجاهلي فحسب، بل ظلت هذه العناية الخاصة يتوارثها أجيال قادمة فنرى تعزيزاً لدور الأدب العربي في العصور الإسلامية حيث وسعت آفاقها لتشمل مناحي الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والتربوية وكانت وسيلة رئيسة في تحريك الدعوة الإسلامية وإظهار قيمها النبيلة على صعيد المحلي والعالمي.³²

أما في العصر الحالي، بدأ الشعوب يعاني من الفقر في الأدب العربي. ويكون ذلك بسبب عزوفهم عنه بما هو أكثر مواكبة للعصر على حد زعمهم. بل الوضع أسوأ من ذلك وقد وثق تقرير شبكة الجزيرة للأخبار أن الإنتاج المعرفي العربي السنوي يتراوح بين 15 و18 كتاباً، وهو ما يعادل إنتاج دار نشر أميركية واحدة تدعى بينغيوم راندوم.³³ الواقع المؤسف الذي لا بد من الخروج منه لاستعادة هيبة الأدب العربي وأمجاده الشائخة.

2 استخدام العامية في لغة التدريس

هذا الأمر نراه في مدارس بلدان العربية أكثر من غيرها من بلدان الإسلامية، وهو شيء يبعث الندم والحسرة كون الشعوب العربية أنفسهم لا يأخذون اللغة العربية الفصحى بمحمل الجد، بل لطخوا صفوف الدراسية بشوائب العامية. يكون العامل وراء ذلك عدم إلمام باللغة العربية الفصحى من طرف المعلم حيث إنهم فضلوا التدريس بالعامية؛ بذريعة ضمان إيصال المعلومات إلى الطلبة، وهو أمر

³² علي الشعبي. 2002م. الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1. ص176.

³³ أخبار الجزيرة. هل يهجر الشباب الخليجي. شوهد في 17 سبتمبر 2018م من <http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2018/3/31>

مرفوض بالبتة كون الفصحى هي أسلم بيانا وأوسع معنى، وأجدر أن تكون لغة التواصل في صفوف الدراسية بل في جميع مراحل الحياة كلها. أما من طرف الطالب فلعل السبب وراء تسرب العامية في دراستهم تأثرهم ببيئتهم التي سادت فيها الاعتماد على اللغة العامية فيحضورونها إلى فصول المعاهد والمدارس.

مهما كان الأمر، فإن تحصيل العلوم لا بد أن يتم باللغة العربية الفصحى، كونها هي اللغة الأصلح لذلك، لا سيما على مرحلة الابتدائية والثانوية. فهذه المرحلة في غاية من الأهمية إذ أنها تعتبر نقطة انطلاق في تكوين مهارات اللغوية لدى الطلاب قبل حوضهم الدراسة في مراحل الجامعية.

3 الغزو الفكري

يقصد بذلك الحرب التي تشنها جهات خارجية دون الاعتماد على وسائل العسكرية التقليدية، وذلك لهدف القضاء على الأفكار والمعتقدات التي تهدد مصالحها، والحرص على فرض أفكارها الخاصة على أذهان وثقافات الشعوب المغلوبة. يتم الغزو الفكري بأتم السرية والكنتمان، وغالبا ما يتنكر بشعارات المؤسسات الإنسانية مثل الجامعات، وسائل الإعلام، المستشفيات، المدارس والحضانات وغيرها. تكون الغاية وراء هذه التسميات جذب المنتسبين إلى هذه المؤسسات ليتم غسل دماغهم وتشكيل قوالب أفكارهم بما يخدم مصالح العدو ومخططاتهم الخبيثة.

لم تكن اللغة العربية الفصحى أن تسلم من استهداف الغزو الفكري بل كانت هدفا رئيسا لهذا الغزو في المقام الأول. لقد أشار الدكتور الريح حمد النيل الليث في مذكرته (الغزو الفكري) أنه يتم هدم اللغة العربية الفصحى عبر الغزو الفكري بخطوات عديدة منها: الدعوة إلى كتابة العربية بحروف اللاتينية بدعوى أن الحركات لا تكتب، الدعوة إلى العامية والبعد عن الفصحى، الادعاء

على أن اللغة العربية الفصحى لغة معقدة صعبة وأنها غير قادرة على مواكبة العصر والتشجيع على تعلم اللغة الأجنبية خاصة للصغار لتحل محل لغتهم الأصلية.³⁴

أما على صعيد العلمي فيتم القضاء على اللغة العربية الفصحى من خلال تسريب المصطلحات الأجنبية إليها. غالب الأحيان، تأتي هذه المصطلحات من مجالات العلمية الحديثة كالفيزياء والعلوم والكيمياء لتتم تسميتها بمصطلحات الأجنبية ثم إدخالها إلى اللغة العربية حرفية دون تعريب. لم تكن المعضلة الحقيقية في عجز اللغة العربية في استيعاب هذه المصطلحات العلمية الحديثة، بل تقصير الأمة الإسلامية والعربية في تعريب هذه المصطلحات. الحقيقة التي أشار إليها الدكتور عبد الكريم خليفة في قوله: "فقد مرت اللغة العربية بهذه التجربة، وبرهنت على حيويتها وقدرتها المتجددة على الاستيعاب. فمن القدماء الذين عنوا بتسجيل المصطلحات نذكر: الخوارزمي صاحب الكتاب مفاتيح العلوم، والجرجاني صاحب كتاب التعريفات، والجواليقي صاحب كتاب المعرب الأعجمي في لغة العرب... ولكننا مع الأسف ما زلنا نجد أنفسنا حيث كنا، والسبب في ذلك ليس له علاقة بطبيعة اللغة ولا بقضاياها، ولكنه يكمن في السياسة التي تسيطر على العلمية العربية التي تنأى باللغة القومية عن المجالات العلمية لأسباب مختلفة".³⁵

النتائج

من خلال ما عرضنا من الشروح والبيان، تبلور أن قضية ازدواجية اللغة العربية في المجتمع قضية جدية لا يمكن التهاون فيها. على الرغم من وجود فرضيات ترجح وجود العامية والفصحى من قبيل ثنائية اللغة، إلا أننا طرحنا هذه الفرضية جانباً من خلال بيان محكم وأدلة قطعية. الموقف الذي أصررنا

³⁴الريح حمد النيل الليث. 2002م. الغزو الفكري. مكة المكرمة: مركز الصفوة للخدمات العلمية والهندسة. ص8.

³⁵عبد الكريم خليفة. 2008م. اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث. عمان: دار الفرقان. ص210.

عليه نظرا إلى الوضع الذي آلت إليه اللغة العربية الفصحى في المجتمع، وانكماش رصيدها اللغوي جراء هيمنة العامية على الشعوب العربية.

الواقع المؤسف الذي أصاب اللغة العربية الفصحى لم يكن ليحدث بين عشية وضحاها، بل جاء على مراحل من الزمن حين بدأت الأمة العربية تنحرف عن دروب أجدادها، وتخلت عن سنن الأولين الذين رأوا في الفصاحة مفخرة، وكانوا قد صبوا جميع مجهوداتهم في إعلاء اللغة العربية الفصحى، وتنافسوا مع بعضهم البعض في سلامة اللسان وفصاحة البيان. فكانت اللغة العربية الفصحى عندهم أشبه بطبخة نضجت واحتزقت لسعة تبحرهم في محيطها وطول مغامرهم بين تضاريسها.

أما في عصرنا الحالي، لقد وقعت اللغة العربية الفصحى بين فكي الكماشة، تهاون المجتمع العربي تجاه اللغة العربية الفصحى في إنتاجاتهم الأدبية ساهم في إقصاء اللغة العربية من أبنائها. وازداد الوضع سوء حين اخترقت العامية قصول المدارس وقاعات الجامعات. ولم يبق لأعداء الأمة المتربصين إلا أن يمدوا مخالبتهم على اللغة العربية الفصحى ليقضوا عليها قضاء مبرما، وصاروا يضحون بالأعداد غير متناهية من المصطلحات الأجنبية إلى هذه اللغة. الجهود التي بدأت تعطي ثمارها حين عجزت الأمة العربية من تعريب هذه المصطلحات وتخلي بعضهم عن تعاطي هذه الهجمات ورفعهم الراية البيضاء أمامها.

المصادر والمراجع

الكتب

- إبراهيم أنيس. 2001م. اللهجات العربية. د.ط. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- ابن منظور جمال الدين محمد بن بكر. 1994م. لسان العرب. ط3. بيروت: دار صادر.
- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري. 1998م. أساس البلاغة. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- أحمد زغب. 2012م. لهجة وادي سوف دراسة لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث. ط1. الجزائر: مطبعة مزوار الوادي.
- بطرس البستاني. 1987م. محيط المحيط قاموس المطول للغة العربية. د.ط. بيروت: مكتبة لبنان.
- حسن ظاظا. 1990م. اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة. ط2. دمشق: دار القلم.
- الريح حمد النيل الليث. 2002م. الغزو الفكري. د.ط. مكة المكرمة: مركز الصفوة للخدمات العلمية والهندسة.
- سيد محمد المرتضى الحسيني الزبيدي. 1969م. تاج العروس من جواهر القاموس. ط2. الكويت: دار التراث العربي.
- عبد الرحمن بن خلدون. 1960م. المقدمة. د.ط. بيروت: مكتبة لبنان.
- عبد الرحمن محمد. 1997م. الازدواج اللغوي في اللغة العربية. ط1. الرياض: مطابع التقنية للأوسفت.
- عبد الغني أبو العزم. 2013م. المعجم الغني. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- عبد الكريم خليفة. 2008م. اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث. د.ط. عمان: دار الفرقان.

علي الشعبي. 2002م. الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

علي عبد الوحيد وافي. 2004م. فقه اللغة. ط9. القاهرة: دار النهضة.

محمد عبد الشافي القوصي. 2016م. عبقرية اللغة العربية. د.ط. الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو.

محمد المبارك. 2009. فقه اللغة دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية. د.ط. دمشق: مطبعة جامعة دمشق.

الرسائل الجامعية

خالدي هشام. 2001م. القاف والكاف في عامية تلمسان. رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة تلمسان، الجزائر.

سلطاني نعمان. 2006م. الكشف اللغوي عن التعدد اللهجي في القرآن الكريم. رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الجزائر، الجزائر.

فاطمة الزهراء حاج علي. 2014م. بين اللغة العربية ولهجات غرب تلمسان لهجة بن واسين أنموذجا. رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر.

الدوريات

إبراهيم بن علي الديبان. 2006م. الصراع اللغوي. مجلة المؤتمر علم اللغة الثالث: التعليم باللغات الأجنبية في العالم العربي. تصدر عن كلية دار العلوم، جامعة القاهرة مصر.

أندريه مارتينييه. 1990م. الثنائية الألسنة والازدواجية الألسنة دعوة إلى رؤيا دينامية للوقائع. مجلة العرب والفكر العالمي. تصدر عن مركز الإنماء القومي بيروت.

عباس المصري. عماد أبو حسن. 2014م. ازدواجية اللغوية في اللغة العربية. *المجلة اللغة العربية*.
تصدر عن كلية أكاديمية للتربية القاسمية فلسطين.

عبده بدوي. 1996م. أهمية تعلم اللغة العربية. *حوليات كلية الآداب*. تصدر عن جامعة الكويت
الكويت.

محمد راجي الزغول. 1980م. ازدواجية اللغة نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها في
ضوء الدراسات اللغوية. *مجلة مجمع اللغة العربية الأردني*. تصدر عن مجمع اللغة العربية الأردني
الأردن.

المواقع الإلكترونية

أزبير الخليل دندان. اكتساب اللغة العربية وتقلص الازدواجية. شوهد في 17 سبتمبر 2018م من

<https://www.researchgate.net/publication/30331495>

أخبار الجزيرة. هل يهجر الشباب الخليجي. شوهد في 17 سبتمبر 2018م من

<http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2018/3/31>